

الدرس الرابع: فنيات كتابة السيرة الذاتية

الكتابة السردية الواقعية، وعناصرها الشكلية والموضوعية

تمهيد

ليس بين الناس من لا يحب الحديث عن نفسه؛ فحتى الذين يعلنون خلاف ذلك يعانون مشقة كبيرة في كبح رغبتهم عن التعبير عن ذواتهم، إن استطاعوا كبحها أصلاً، وكثيرون يجعلون من هذا الادعاء ستارا يمرّرون من خلاله كلامهم عن أنفسهم، فيبدون وكأنهم يُنتزع منهم الحديث انتزاعاً وهم له كارهون.

وإذا كان الكلام عن الذات أمراً شائعاً بين البشر، فإن بعض صورته تظل خاصة بالأديب أو الفنان؛ إذ تبقى "الأنا" حاضرة لديه، إما مقنّعة خلف شخصيات القصة والمسرحية التي يبتكرها، فهو يصنع مرايا صافية ويطالع ملامحه فيها، أو تكون هذه الأنا مكشوفة حين يكتب سيرته الذاتية ويتحدّث صراحة عن حياته. وليست السيرة الذاتية مجرد حديثٍ عن النفس...

1. مفهوم السيرة الذاتية

1.1 لغة

ذكر ابن منظور في لسان العرب أن كلمة السّير تدلّ على الذهاب والانتقال، ويقال: سار يسير سيرا ومسيرة وسيرورة وتسياراً، وكلها من الأصل نفسه الذي يعني المضيّ من بلد إلى آخر أو إخراج المرء إلى وجهته، أما السّيرة فهي من مادة السير أيضاً، وتأتي بمعنى الطريقة والهيئة والسُنّة؛ فيقال: سار القوم سيرة حسنة أي على نهج طيب. وفي قوله تعالى: سُنْعِيذُهَا سِيرَتَهَا الأولى يُقصد بها حالتها وهيئتها الأصلية. ويورد القاموس المحيط أن السّيرة بالكسر تُستخدم للدلالة على السُنّة والطريقة والهيئة، سواء في أحاديث الأوائل أو في الاستعمال اللغوي العام 1.

2.1 اصطلاحاً

السيرة فنٌّ نثريّ يقَدّم صورةً شاملة عن حياة شخص ما، حقيقياً كان أو متخيلاً، من خلال مزج الوقائع بالسرد والتحليل، وتهدف إلى تتبّع مسار هذا الفرد منذ طفولته، مروراً

بتجارب حياته الخاصة والفكرية والمهنية، كما تُبرز الظروف التي أثرت في شخصيته ومساره، وتكشف عن علاقته بمجتمعه وبيئته، وتعتمد السيرة على توثيق الأحداث بأسلوب فني يجعل القارئ قريباً من عالم الشخصية، وهي بذلك تمثل كتابة تجمع بين المعرفة والمتعة، وبين الحقيقة والجانب الإبداعي².

يرى الباحثون أن السيرة الذاتية هي سرد قصصي يُقدّم فيه الكاتب صورة عن حياته وما يواجهه من مشكلات وتحديات، محاولاً متابعة الأحداث زمنياً وإبراز أهميتها³.

ويشير محمد شعبان إلى أن السيرة الذاتية ترتبط لديه بما يسمّيه "المؤلف الروائي" الذي يسجل وقائع حياته بوعي وبصياغة فنية تبرز طبيعة الحدث، وتعكس جوهر التجربة الإنسانية، وتُعد السيرة الذاتية فرعاً من فروع الأدب لأنها تنقل الحياة بوجهها الدرامي، وتُقدّم تقارير عن مسارات الأشخاص وتجاربهم⁴.

ويرى أنيس المقدسي أنها صيغة أدبية قديمة تُعنى بتسجيل حياة الأفراد ورصد تجاربهم بأسلوب يجمع بين الفن والواقع⁵.

2. مراحل تطور السيرة الذاتية في الأدب العربي

أ/ مرحلة التراجم والطبقات: سير غير شخصية، تركز على النسب والعلم والوفاء.

أهم النماذج:

✓ طبقات ابن سعد، ابن سعد

✓ الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر

✓ سير أعلام النبلاء، لذهبي

ب/ مرحلة الوعي بالذات وظهور الملامح الشخصية: بروز الاعترافات والكشف عن

المشاعر في نصوص غير مخصصة للسيرة.

أهم النماذج

✚ المنقذ من الضلال، أبو حامد الغزالي

رسائل أبي حيان التوحيدي

ت/ مرحلة السيرة التقليدية الكاملة: سيرة ذاتية كاملة تُكتب للعظة والتجربة.

أهم النماذج

• الاعتبار ، أسامة بن منقذ

• التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ابن خلدون

ث/ مرحلة النهضة الحديثة: ظهور السيرة الذاتية الفنية المتأثرة بالأدب الغربي.

أهم النماذج

• الأيام ، طه حسين

• حياتي ، أحمد أمين

• قصة حياتي ، جرجي زيدان

ج/ مرحلة السيرة الذاتية المعاصرة : تنوع كبير، وظهور الرواية السيرية وكتابة الهوية والوجود.

أهم النماذج

✦ كتابات نزار قباني "سيرة شعرية"

✦ سيرة مدينة ، عبد الرحمن منيف

✦ كتابات أحلام مستغانمي التي تمزج الذات بالسرد الروائي

3. نشأة السيرة الذاتية في الأدب العربي

نشأ هذا النوع في بيئة الأدب الأوروبي، ثم انتقلت بواده إلى الأدب العربي عبر المثاقفة واحتكاك الرواد الأوائل بالأدب الغربي، وهو اليوم يسعى إلى ترسيخ حضوره في الأدب العربي. ومنذ ظهوره، لقي هذا النوع اهتماما واسعا في الدراسات الأدبية العربية والعالمية، التي حاولت تحديد مفهومه وقدمت له تعريفات متعددة تكشف عن ماهيته.

ورغم تلك الجهود، لم يُحسم بعد في اعتباره جنساً مستقلاً بسمات واضحة تميّزه عن غيره من الأجناس الأدبية؛ فكثيراً ما يختلط بغيره، كما تندر له التعريفات الدقيقة والشاملة، وربما يعود ذلك إلى مرونته وانفتاحه الكبير على أشكال متعددة من الكتابات الإبداعية ذات الطبيعة السردية.

4. أشهر نماذج السيرة الذاتية في الأدب العربي قديماً وحديثاً

1.4 قديماً

- **المنقذ من الضلال** (أبو حامد الغزالي): يمثل نموذجاً للسيرة الذاتية الروحية والفكرية، ويعالج رحلة البحث عن الحقيقة والمعرفة.
- **التعريف بابن خلدون** (ابن خلدون): سيرة علمية وسياسية، للدفاع عن الذات وتوثيق المسيرة العلمية والمناصب.
- **سيرة ابن منقذ**: يمزج بين التجربة الشخصية والملاحظات التاريخية، ويتميز بأسلوب فيه فكاهاة وسخرية، وفقاً لموقع الشرق الأوسط.
- **الرحلة** (ابن جبیر): نماذج أولية تجمع بين السرد الذاتي والرحلات، حسب موقع الموسوعة الثقافية .

2.4 حديثاً

- **الأيام** (طه حسين): سيرة ذاتية شهيرة تصور طفولة الكاتب في صعيد مصر وتحديات فقدان البصر.
- **البحث عن الذات** (أنور السادات): سيرة ذاتية لرئيس دولة، تتناول تجربة سياسية وعسكرية وشخصية.
- **الخبز الحافي** (محمد شكري): تتميز بالجرأة والصدق في وصف الطفولة والبؤس في المغرب، وفقاً لموقع سطور .

- **ذاكرة للنسيان** (محمود درويش): يمزج بين الشعر والسيرة الذاتية، ويقدم رؤية للمشهد التاريخي والثقافي، خاصة حصار بيروت، حسب موقع الشرق الأوسط.
- **رأيت رام الله** (مريد البرغوثي): يجمع بين المذكرات والشعر وأدب الرحلات، حول زيارة مؤقتة لفلسطين.
- **البئر الأولى** (جبرا إبراهيم جبرا): سيرة ذاتية لأديب فلسطيني.
- **عصفور من الشرق** (توفيق الحكيم): يتناول تجربته في فرنسا بين الشرق والغرب.

5. كيف أكتب سيرتي الذاتية الأدبية

1. الملخص الشخصي

فقرة قصيرة تعرف القارئ بك ككاتب، توضح هويتك الأدبية، توجهاتك، وأهدافك في الكتابة.

أ/ العناصر الفرعية:

- ✚ الهوية الأدبية (كاتب، شاعرة، ناقد، إلخ).
- ✚ التوجهات الأدبية (مثلاً: الواقعية، الفلسفية، الاجتماعية).
- ✚ الهدف من الكتابة (التعبير عن الذات، نقد المجتمع، تصوير الحياة اليومية).

2. المسيرة الإبداعية أو الأدبية

سرد لإنجازاتك الأدبية وأعمالك المنشورة، مع التركيز على مضمونها وأهميتها.

ب/ العناصر الفرعية

- ❖ الأعمال المنشورة (قصص، مقالات، دواوين شعرية).
- ❖ مضمون كل عمل أو موضوعه الرئيسي.
- ❖ تأثير الأعمال أو القيمة التي تقدمها للقارئ.

3. التكوين الثقافي

استعراض الخلفية التعليمية والثقافية التي ساهمت في تشكيل وعيك الأدبي.

ت/ العناصر الفرعية

✎ الدراسة الأكاديمية في الأدب أو المجالات ذات الصلة.

✎ الاهتمامات القرائية وأنواع الأدب التي تتابعها.

✎ المؤثرات الأدبية والفكرية التي شكلت أسلوبك.

4. المشاركات والجوائز

توثيق النشاطات الأدبية التي شاركت فيها أو الجوائز التي حصلت عليها لتعزيز مصداقية سيرتك.

ث/ العناصر الفرعية

← النشاطات الأدبية (ملتقيات، ورش عمل، مسابقات).

← الجوائز أو التكريمات الأدبية.

← المساهمات المجتمعية أو الثقافية في المجال الأدبي.

5. الرؤية الأدبية

فقرة ختامية توضح فلسفتك الأدبية، رؤيتك للكتابة، وما تطمح لتحقيقه في المستقبل.

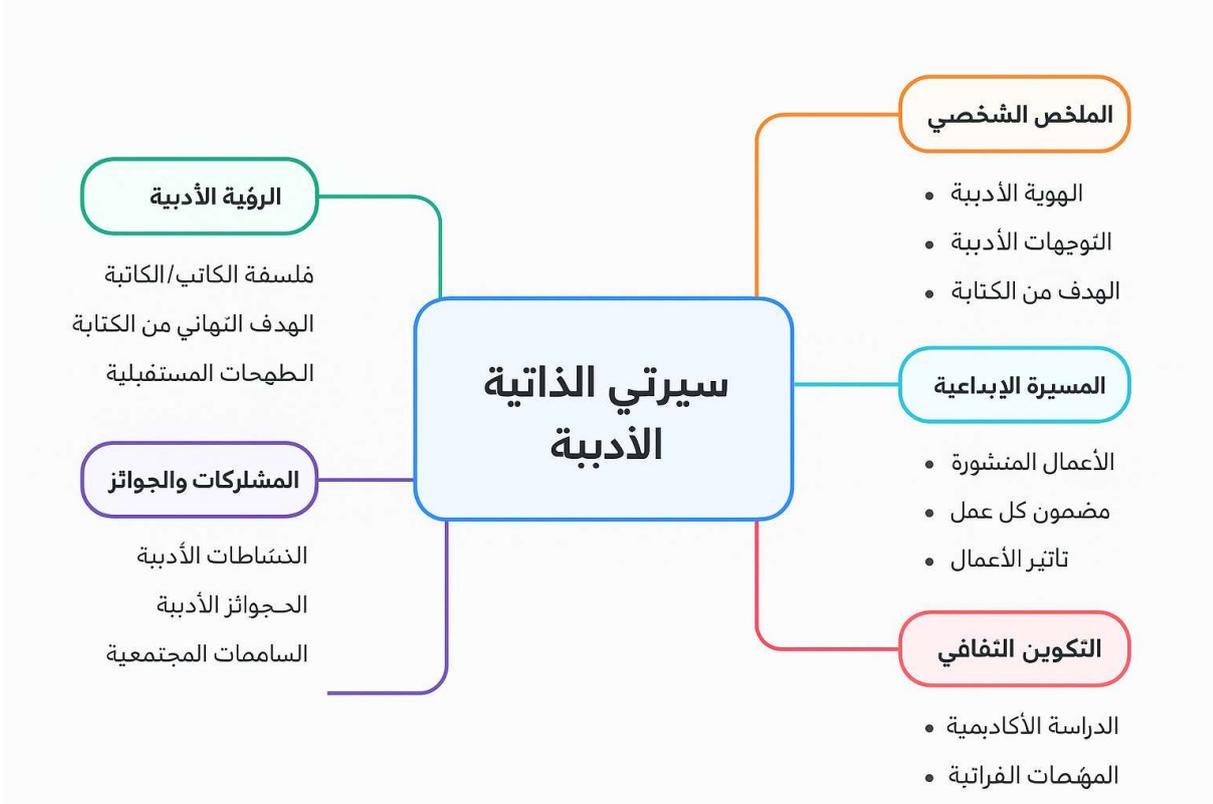
ج/ العناصر الفرعية

✎ فلسفة الكاتب/الكاتبة في الأدب.

✎ الهدف النهائي من الكتابة (مثلا: البحث عن معنى الذات، تصوير التجربة الإنسانية، نقد المجتمع).

✎ طموحات مستقبلية أو رسائل ترغب في إيصالها من خلال الأدب.

رسم تخطيطي يوضح كيف أبنى سيرتي الذاتية



تطبيق

يقترح الأستاذ على الطلاب الاقتداء بالنماذج المشهورة للسيرة الذاتية، ويقسمهم إلى مجموعات ليكتب كل طالب جزءاً من سيرته، ثم يستمعوا لبعض السير الذاتية التي أعدها زملاؤهم ويناقشوها معاً.

1. ينظر: ابن منظور، لسان العرب، دط، دار الحديث، القاهرة، 2003، مادة (سير)
2. ينظر: إحسان عباس، فن السيرة، ط2، دار الثقافة، بيروت، 1900 ص: 98.
3. ينظر: محمد التونجي، المعجم المفصل للأدب، دط، ج1، دار الكتب المصرية، بيروت، 1993، ص: 536.
4. ينظر: محمد شعبان عبد الحكيم، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث رؤية نقدية، دط، دس ن، ص: 10.
5. ينظر: أنيس المقدسي، الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1984، ص: 547.